

كعب بن زهير وخصائص شعره: دراسة وتقويم
(কা'ব বিন যুহাইর ও তাঁর কবিতার বৈশিষ্ট্য: পর্যালোচনা ও মূল্যায়ন)

ড. মোহাম্মদ আমির হোসাইন*

প্রতিপাদ্যসার

কা'ব বিন যুহাইর একজন প্রথিতযশা মুখাদরাম কবি। তিনি উত্তরাধিকারসূত্রে কাব্য প্রতিভা নিয়ে জন্মগ্রহণ করেন। ইসলামপূর্ব যুগে তিনি তাঁর এ প্রতিভা ইসলামের বিরুদ্ধে ব্যবহার করেন। তিনি মহানবী হযরত মুহাম্মদ (সা.) এর কুৎসায় কবিতা রচনা করেন বিধায় তাঁকে হত্যার নির্দেশ জারি করা হয়। পরে তিনি মহানবী (সা.) এর প্রশংসায় 'বানাত সুয়াদ' নামক কাসিদা রচনা করেন এবং তা তাঁকে আবৃত্তি করে শুনান। এতে মহানবী (সা.) খুশি হয়ে তাঁকে নিজের চাদর উপহার দেন, যা পরবর্তীতে উমাইয়া শাসকবর্গ অভিষেক অনুষ্ঠানে বরকতের উদ্দেশ্যে পরিধান করতেন। কাসিদাটির সাহিত্যিক মূল্যমান ছিল অনেক উচ্চ মানের। কাসিদায় ব্যবহৃত উপমা, উৎপ্রেক্ষা, বর্ণনার ধারাবাহিকতা, শব্দের প্রাঞ্জলতা ও প্রশংসার নিপুণতা তাঁকে মুখাদরাম কবিদের শ্রেষ্ঠ কবির স্বীকৃতি এনে দেয়। আলোচ্য প্রবন্ধে কবির সংক্ষিপ্ত জীবনী ও তাঁর কবিতার বৈশিষ্ট্য তুলে ধরা হয়েছে।

* সহযোগী অধ্যাপক, আরবি বিভাগ, চট্টগ্রাম বিশ্ববিদ্যালয়

مقدمة:

إن كثيراً من الشعراء الأجلاء والأدباء الأعزاء الذين خلفوا آثاراً قيمة في الشعر العربي. وعلى رأسهم الشاعر العلام كعب بن زهير بن أبي سلمى. وهو من الشعراء المخضرمين وأحد من المادحين للنبي - صلى الله عليه وسلم-، وكان شعره مملوءاً بالمدائح النبوية والصحابية الكرام. والشعراء من بعده نسجوا على منواله، وساروا على نهجه في إنشاء القصائد المدحية للنبي -صلى الله عليه وسلم- من عصره حتى الآن، فظهرت قصائد عديدة ومقطوعات متنوعة في الأدب العربي، تمتعت بها الشعراء العربية عامة والشعراء المسلمين خاصة. فمن أشهر قصائده "بانث سعاد"، و"من سرّه كرم الحياة"، و"رحلت إلى قومي"، و"بان الشباب"، ونواطق خالدة"، و"متى مايتيني قدري"، "أ من أمّ شداد"، و"أمن دمنة الدار" وغير ذلك. ففي الأدب العربي قصائده رائدة قديمة التي نالت اهتماماً ملحوظاً عند الدارسين المحدثين، والمستشرقين^١، والعرب^٢ على حدّ سواء، ممّن تصدّى منهم لدراسة أدب عصر صدر الإسلام عامة. وفي هذه المقالة ذكرنا حياته الطيبة ومساهمته الشعرية الفذة النادرة كي يستفيد بها الدارسين ممن له ظمناً في الأدب العربي.

لمحة من سيرة كعب بن زهير

اسمه ونسبه

هو أبو عقبة كعب بن زهير^٣ بن أبي سلمى^٤ بن ربيعة بن رياح بن العوام بن قُرب بن الحارث بن مازن بن خلاوة بن ثعلبة بن ثور بن هرمة بن لاطم بن عثمان بن مزينة^٥، ومن ثم يقال له المزني^٦، ولقبه أبو المضرب^٧، وهو من فحول الشعراء المخضرمين الذين أدركوا العصرين الجاهلية والإسلام،^٨ وأمه كبشة بنت عمار بن عدي بن سحيم بن عطفان، وهي أم سائر أولاد زهير^٩، تزوجها زهير على زوجته الأولى أم أوفى التي لم تكن يعيش لها ولد ولما تزوج كبشة أصابها الغيرة، فطلبت منه الطلاق، فطلقها ثم ندم بعد ذلك^{١٠}.

كعب بن زهير وخصائص شعره: دراسة وتقييم
(কা'ব বিন যুহাইর ও তাঁর কবিতার বৈশিষ্ট্য: পর্যালোচনা ও মূল্যায়ন)

نشأته وتعليمه

ولد كعب في غطفان قوم أمه كبشة وترعرع فيها، وظل تاريخ ولادته مجهولا، وكان في صباه يرعى ماشية أبيه، وقد روي أنه أسر وأفتدى نفسه بفرس له يدعى الكميت وكان من أشهر الخيول سرعة وجمالا.^{١١}

إن الشاعر العلام كعب بن زهير نشأ في أسرة شاعرية، فأمه كبشة شاعرة وأبوه زهير شاعر، وجده أبو سُلَى وعمته سُلَى والخنساء وخال أبيه بشامة بن الغدير وأبنا عمته تماضر والخنساء وأخوها صخر وابنا بنته سلمى العوثبان و فريض وأخوه بجير وابنه عقبة وحفيده العوام كلهم شعراء.^{١٢} وقال العلامة محمد على الصباح : كان أعضاء أسرة كعب كلهم من الشعراء. كان الشعر يسير في دماء العائلة ويسكن في الموروثان الجبينية لتلك العائلة التي قدر لها ان تحتفي بالشعر تألدا ووالدا.^{١٣}

الحصول على المهارة الشعرية:

إن كعب بن زهير بن أبي سُلَى بدأ ينظم الشعر منذ حداثة طفوليته وهو دون المراهقة، فنهاه أبوه، مخافة أن يروي عنه ما لا خير فيه فيشوّه مجد الأسرة، وما زال يهدّب لسانه ويجهّز شاعريته برواية الشعر حتى استقام له النظم. وكان الشعر يكتنفه من كل جانب فروى الشعر لأبيه زهير ولغيره من الرواة.^{١٤}

زهير ينهاه عن الشعر قبل أن يستحکم

كان في صباه يرعى ماشية أبيه في الصحراء، وينظم الشعر فيها، فيزجره والده ويضربه مخافة أن يكون شعره لم يستحکم، كلما يضربه يزيد فيه، فغلبه، فطال عليه ذلك، فأخذه فحبسه،^{١٥} فمكث محبوسا عدة أيام، ثم أخبره أنه يتكلم به، فدعاه فضربه ضربا شديدا، بيد أنه لم يستطع أن يصرفه عن الشعر.

إذن زهير لكعب في قول الشعر:

ففي يوم من الأيام غضب زهير بن أبي سُلمى على ابنه، فخرج من بيته فأردف ولده كعب على ناقته، وانطلق به إلى الصحراء، وأخذ يقول البيت ويستجيز ابنه، فوثق عندئذ باستحكام ملكته، وأذن له في الشعر.^{١٦} وبعد ذلك كان أبوه يخرج به إلى الصحراء فيلقي عليه بيتا أو شطرا ويطلب إليه أن يجيزه تمرينا له وتدريباً على صوغ الشعر ونظمه.^{١٧} والرواة متفقون على أن الشعر لم يتصل في ولد أحد من فحول الشعراء في الجاهلية اتصاله في ولد زهير،^{١٨} وفي الإسلام في ولد بجير. وقد انعقد إجماع الرواة على أن "كعباً" كان أحد الفحول الموجودين في الشعر العربي والمقدم في طبقتة و يصفون شعره بقوة التماسك، وجزالة اللفظ وسمو المعنى.^{١٩}

وصية زهير أولاده لقبول الإسلام

وكان زهير بن أبي سُلمى عالماً ماهراً، وشاعراً كبيراً، وكان متمسكاً على التوحيد والبعث كما ظهر في شعره، قال الشاعر:^{٢٠}

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ومهما يكتنم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أويجعل فينقم

وقد أجمع النقاد بأنه كان لا يفاضل ويتجنب وحشي الكلام، ولم يمدح أحداً إلا بما فيه، وكان كثيراً ما يلتقي بأهل الكتاب ويسمع منهم ويتحدث إليهم ويفكر فيما دعى إليه منهم، وسمع منهم بأن خاتم الأنبياء سيأتي، فانتظر له، فلم يجده، وتوفي قبل مبعث الرسول -صلى الله عليه وسلم-. وفي ذات ليلة رأى زهير في المنام أن أسباب السماء قدمت إليه، فلما هم أن ينالها نأت عنه، ثم أفاق من نومه، ولم يشك في أن لهذه الرؤيا دلالتها وتأويلها، فجمع بنيه الثلاثة (سالمًا وكعبًا وبجيرًا) وقال لهم: أنه كائن خيرا، وأوصاهم أن ينتفعوا به وبما يحدث به من أخبار السماء.^{٢١} فلما جاء الإسلام انتظر كعب وبجير لقبول الإسلام.

هجاء النبي والإسلام

أسلم أخوه بجير قبيل السنة السابعة للهجرة وشهد فتح مكة، ويوم حنين، وغزوة الطائف، فرأى كعب بن زهير ذلك انحرافاً عما كان عليه آباءه، وخروجاً عن شيم الجاهلية، وراح يهجو الإسلام

كعب بن زهير وخصائص شعره: دراسة وتقويم
(কা'ব বিন যুহাইর ও তাঁর কবিতার বৈশিষ্ট্য: পর্যালোচনা ও মূল্যায়ন)

ونبيه هجاء مرا،^{٢٢} كما هجاء النساء اللواتي دخلن في الإسلام، فغضب النبي -صلى الله عليه وسلم- على كعب غضبا شديدا.^{٢٣}

سبب إهدار دم كعب

أسلم أخوه بجير فلما سمع هذا الخبر كتب كعب إلى أخيه بجير رسالة شعرية، وهي :

ألا بلغا عني بجيراً رسالةً
فهل لك فيما قلتَ ويحك هل لك
شربت مع المأمون كأساً رويةً
فانهلك المأمون منها وعلكاً
وخالفت أسباب الهدى وتبعته
على أي شيءٍ وثبَّ غيرك ذلكاً
على خلقٍ لم تلفِ أمّاً ولا أباً
عليه ولم تدرك عليه أخاً لكاً

فلما بلغ هذه الأبيات إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أهدر دمه، وقال : "من لقي كعباً فليقتله".^{٢٤}
وفي الناحية الأخرى نجد وجهاً آخر في إهدار دم كعب بن زهير، وهي تشييب النساء، كما قيل:
إِنَّمَا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِقَتْلِهِ وَقَطْعِ لِسَانِهِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ تَشَبَّهَ بِأُمِّ هَانِيٍّ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ.^{٢٥}
وكلاهما سببان لإهدار دمه، فالأول مشهور جداً.

قبول الإسلام

إذا أمعنا النظر إلى كتب الأحاديث والتواريخ نجد ثلاثة آراء في قبول إسلام كعب بن زهير،

نوجزها فيما يلي:

الأول: واسطة الرجل الجبينية: بين محمد بن إسحاق بأنه لما قدم النبي -صلى الله عليه وسلم- المدينة منصرفاً من الطائف ذهب كعب إلى المدينة وصلى الفجر في المسجد النبوي ولاقاه بواسطة رجل من جهينة، فاستأمنه تائباً فأسلم، فأنشده قصيدته المشهورة "بانة سعاد" في مدح النبي -صلى الله عليه وسلم-^{٢٦}.

الثاني: أنه ذهب إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- بواسطة أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-

فبايع على يد النبي -صلى الله عليه وسلم- وأنشده القصيد "بانة سعاد".^{٢٧}

الثالث : ذهب كعب بن زهير إلى النبي ﷺ من غير واسطة، فلما دخل المسجد عرفه، ثم قال : الأمان يا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- "مامون والله"، وأنشده القصيدة.^{٢٨}

وفاته:

وقد وجد كعب بن زهير حياة طويلة، وفي تاريخ وفاته اختلاف، فقال البعض أنه مات في ٢٤هـ^{٢٩} في خلافة عثمان -رضى الله تعالى عنه-، وقيل مات سنة ٤١ هـ / ٦٦١ م^{٣٠} في خلافة معاوية -رضى الله تعالى عنه-، وقيل ٢٦ هـ / ٦٤٥ م^{٣١}.

أخلاقه وشخصيته:

كان كعب بن زهير في الجاهلية فتى مقداماً وفارساً لا يشق له غبار، وكان يقضي معظم وقته متجولاً في الصحراء برفقة أصحابه طلباً للصيد، كما كان شاعراً فحلاً، لذا عدّه سيدنا عمر -رضي الله عنه- أشعر شعراء الجاهلية، وقد عُرف عن كعب في الجاهلية تحليته بالأخلاق العربية الأصيلة مثل المروءة، والكرم، والشجاعة، والنخوة، والحمية، والجلم، ومقت الضيم، وبعد إسلامه أضاف إلى هذه الأخلاق فضائل الإسلام، وما يحمله من قيم نبيلة.^{٣٢}

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

إن الشاعر كعب بن زهير كانت له مكانة علمية بين الشعراء المعاصرين، قال أبو عمر -رحمة الله عليّه-: كان كعب بن زهير شاعراً مجوداً كثير الشعر، مقدماً في طبقة هُوَ وأخوه بجير. وكعب أشعرهما، وأبوهما زهير فوقهما. وقال خَلْف الأحمر: لولا قصائد زهير ما فضلته على ابنه كعب^{٣٣}. وقال أبو عبد الله : وكان كعب شاعراً فحلاً مجيداً.^{٣٤} وكان الحكيم من نابهي الشعراء توسل إليه أن ينوّه بذكره في شعره حتى يشتهر، فقال^{٣٥}:

فمن القوافي شأنها من يحوكها
كفيتك لاتلقى من الناس واحدا
إذا ما مضى كعب وفوز جرول
تنخل منها مثل ما تنتخل

كعب بن زهير وخصائص شعره: دراسة وتقييم
(কা'ব বিন যুহাইর ও তাঁর কবিতার বৈশিষ্ট্য: পর্যালোচনা ও মূল্যায়ন)

خصائص شعر كعب بن زهير:

علما منا بأن الشاعر العلام كعب بن زهير له ديوان ينطوي على فخر ومدح وهجاء وغزل ورثاء وما إلى ذلك من الأغراض التقليدية. وقد ذكر له الرواة شعرا كثيرا لم يصل إلينا منه إلا القليل.^{٣٦} بعض خصائص شعره فيما يلي:

(١) هجاء النبي -صلى الله عليه وسلم- والمسلمين: إدراكا منا بأنه لما سمع خبر إسلام أخيه بجير كتب رسالة شعرية إلى أخيه، وهجا فيها النبي -صلى الله عليه وسلم- هجاء مرا، فغضب النبي -صلى الله عليه وسلم- غضبا حتى هدر دمه، قال كعب:

ألا أبلغا عني بجيراً رسالةً
فهل لك فيما قلتَ ويحك هل لكَا
شربتَ مع المأمونِ كأساً رويةً
فانهلك المأمونُ منها وعلكَا
وخالفت أسبابَ الهدى وتبعتهُ
على أيِّ شيءٍ وَيَبَّ غَيْرُكَ دَلْكََا
على خلقٍ لم تَلْفِ أمَّا ولا أباً
عليه ولم تدرك عليه اخأ لكَا^{٣٧}

(٢) دعوة قومه إلى الإسلام: حينما أسلم وحسن إسلامه ذهب إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام،

فأسلم أناس كثيرون على يده، ويقص قصة رحلته إلى قومه في قصيدة "رحلتُ إلى قومي"، وقال:^{٣٨}

رَحَلْتُ إلى قومي لأدْعُو جُلُهم
إلى أمرِ حُرْمِ أحكمته الجوامعُ
ليُوفُوا بما كانوا عليه تَعَاقدُوا
بخَيْفِ مني والله راءٍ وسامعُ
وتوصلَ أرحامٍ ويفرَجَ مغرَمُ
وترجعَ بالودِّ القديم الرواجعُ
فأبْلغُ بها أَفْتَاءَ عُثْمَانَ كُلَّها
وأوساً فبِليغها الذي أنا صانعُ
سأدعوهم جهدي إلى البرِّ والتُّقى
وأمرِ العلا ما شايعتني الأصابعُ
فكونوا جميعاً ما استطعتم فإنه
سيَلْبَسُكم ثوبٌ من الله واسِعُ
وقومُوا فأسُوا قومكم فاجمعوهم
وكونوا يداً تبني العُلا وتدافعُ
فإن أنتم لم تفعلوا ما أمرتكم
فأوفوا بها ، إن العهدودائعُ

(٣) توكله على الله: وبعد إسلام كعب بدل أخلاقه وشيمه، وفي كل أمر يتوكل على الله -عزّ

وجلّ= الذي يربي العباد ويمن عليهم بالرزق والنعمة، وبعضهم عدّه من زهاد المسلمين لأنه لا يستحسن

أن يجمع الرزق للغد، بل كان منهم ممن يرى أن ذلك خطيئة لا تغتفر، لأن الله متكفل العباد برزقهم،

وليس لهم إلا أن يسلموا أمرهم له، فهو القادر أن يرزقهم ويرزق الخلق كلهم، وقال: ^{٣٦}

أَعْلَمُ أَنِّي مَتَى مَا يَأْتِي قَدْرِي فليس يحبسُهُ شَحٌّ ولا شَفَقُ
بيننا الفتى معجبٌ بالعيش مغتبطٌ إذا الفَتَى لِلْمَنَايَا مُسَلِّمٌ غَلِقُ
والمرء والمال ينهى ثم يذهبه مر الدهور ويفنيه فينسحق
فلت نخافي علينا الفقر وانتظري فضل الذي بالغني من عنده نثق
إن يفن ما عندنا فالله يرزقنا ومن سوانا ولسنا نحن نرتزق

(٤) إرسال الحكمة: الحكمة هي عصارة التجارب الحياتية وافراز للحوادث والنوازل وإلهام بعد

تفكير وتدبير للأمر، والحكمة هي نتيجة قناعة راسخة، فهي "ضالة المؤمن، حيث وجدها فهو أحق بها".

والله عز وجل: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾^{٤٠} و الحكمة في شعر كعب ليست بمستحيل؛ لأنه ابن زهير بن

أبي سلمى الشاعر الذي زخرت معلقته بكثير من المواعظ والحكم، فليس غريبا أن يشتمل ديوان كعب

على حكم كثيرة مبثوثة هنا وهناك في ثناياه، وأكثرها يمثل مقطوعات صغيرة مستقلة يبدو عليها أثر

الإسلام واضحا، إذ استفاد كعب من تعاليم دينه، يقول كعب: ^{٤١}

لَوْ كُنْتُ أَعْجَبُ مِنْ شَيْءٍ لِأَعْجَبِي سَعَى الْفَتَى وَهُوَ مُخْبِوٌّ لَهُ الْقَدْرُ
يَسْعَى الْفَتَى لِأُمُورٍ لَيْسَ مُدْرِكُهَا والنفسُ واحدةٌ والهَمُّ منتشرُ
والمرءُ مَا عَاشَ مَمْدُودٌ لَهُ أَمَلٌ لا تَنْتَهِي الْعَيْنُ حَتَّى يَنْتَهِيَ الْأَثَرُ

وقال أيضا: ^{٤٢}

قَدْ يُعَوِّزُ الْحَازِمُ الْمَحْمُودُ نَيْتَهُ بَعْدَ التَّرَاءِ وَيُثْرِي الْعَاجِزُ الْحَمِقُ
فَلَا تَخَافِي عَلَيْنَا الْفَقْرَ وَانْتَظِرِي فَضَلَ الَّذِي بِالْغِنَى مِنْ عِنْدِهِ نَثِقُ

(٥) قصيدة المديح: إن لكعب بن زهير قصيدة مشهورة في مدح النبي -صلى الله عليه

وسلم- بأسم "بانة سعاد" أو البردة". وهي قصيدة رائعة التي كتبها كعب في مدح الرسول -صلى الله عليه

وسلم- وصحبه من المهاجرين، شبه فيها النبي -صلى الله عليه وسلم- بالنور الذي يستضاء به الكرة

الأرضية وبالسيف المهند الذي كان أعلى وأثمن في ذلك العصر، وهو رمز من رموز القوة وأداة من أدواتها.

كعب بن زهير وخصائص شعره: دراسة وتقييم
(কা'ব বিন যুহাইর ও তাঁর কবিতার বৈশিষ্ট্য: পর্যালোচনা ও মূল্যায়ন)

وذلك عندما اضطر المسلمون يحملونه لحماية الدين الإسلامي ولنشر الدعوة الإسلامية في أصقاع الأرض، يقول كعب: ^{٤٣}

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

ثم مدح الشاعر كعب بن زهير المهاجرين الكرام بأنهم قوم مطيعون، يفعلون ما يؤمرون، كما أنهم هجروا من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة طائعين من أمر نبيهم كما جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، ولا يخافون فيه لومة لائم، وهم تحملوا عبء الدعوة الإسلامية، وتحملوا العذاب وابتعدوا عن الأهل والوطن والأموال تضحية منهم في سبيل الدين الجديد. وهم أبطال شجعان لا يمكن بحال تنفك صفة الشجاعة عنهم، وإنهم كانوا يضربون الأعداء ولا يفرحون بها، وإنما نرى في نحورهم طعن الرماح، لا في ظهورهم؛ لأنهم لا يفرون من ميادين الحرب قط، ويستقبلون الشهادة فيها طائعين، وقال كعب: ^{٤٤}

في عُصْبَةٍ من قُرَيْشٍ قال قائلهم
ببَطْنٍ مَكَّةَ لما أسلموا زُلُوعاً
زالوا فما زال انكاسٌ ولا كَشَفٌ
عند اللِّقَاءِ ولا ميلٌ معازيلُ
شُمُّ العَرَائِينِ أبطالٌ لَبُوسُهُمْ
من نَسِيحِ داوَدَ في الهيجا سراويلُ
بيضٌ سَوَابِغٌ قد شُكَّتْ لها حَلَقٌ
كأَنَّها حَلَقُ القَفْعَاءِ مَجْدُولُ
يَمْسُونَ مَسِيَّ الجِمالِ الرُّهْرُ يَعْصِمُهُمْ
ضربٌ إذا عرَدَ السودُ التنايلُ
لا يفرحون إذا نالت رماحهم
قوماً ولْيَسُوا مَجازيعاً إذا نيلوا
لا يَقَعُ الطَّعْنُ إلا في نُحُورِهِمْ
ما إن لهم عن حياضِ الموتِ تَهْلِيلُ

(٦) الإعتذار وطلب العفو : علما منا بأن الشاعر العلام كعب بن زهير اعترف ذنبه

المكسوب بهجاء النبي -صلى الله عليه وسلم- وصحبه اعترافا مكشوفاً، بقوله: ^{٤٥}

تَعَلَّمَ رَسولُ الله أنك مدركي وأن وعيداً منك كالأخذ باليد

فالبيت يتضمن اعترافاً عن كعب بأنه اقترن ذنباً، وأن يد الرسول -صلى الله عليه وسلم- سوف تطالبه مهما ابتعد به المهرب، ومهما اتخذ من اشكال التخفي، ثم جاء الشاعر على هدفه الأصيل، وهو الاعتذار وطلب العفو من الرسول -صلى الله عليه وسلم- فيقول : إنه سمع بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- أهدر دمه وأمر لقتله فجاءه تائباً طائعاً، يطلب منه العفو الذي هو مأمول ومقبول عنده، فقال: ^{٤٦}

أُنْبِئْتُ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ أُوْعَدَنِي والعفو عند رسول الله مأمولٌ
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة ال قرآن فيها مواعِظٌ وتفصيلٌ

فعفاه النبي -صلى الله عليه السلام- بما صنع قبله، وخلع بردته الشريفة من جسده وأعطاه الشاعر وألبسه، وما زالت هذه البردة عنده، ثم عند أهله، حتى اشتراها الخليفة معاوية بن أبو سفيان منهم بأربعين ألف درهم، وتوارثها الخلفاء الأمويون، فالعباسيون حتى أخذها التتر منهم سنة أخذ بغداد^{٤٧}.
وجدير بالذكر بأن القصائد المدحية المشهورة للرسول -صلى الله عليه وسلم- ثلاثة، أحدها قصيدة "بانة سعاد" لكعب بن زهير، ثانها "قصيدة البردة" لبوصيري، ثالثها "نهج البردة" لأمير الشعراء شوقي بك^{٤٨}. ولا شك فيه بأن قصيدة "بانة سعاد" قصيدة مدحية التي سرّ بها النبي -صلى الله عليه وسلم- وفرح بها فرحا شديدا، فأهدى الرسول -صلى الله عليه السلام- الشاعر بردته الشريفة احتراماً له وجائزة لقصيدته.

قال عبد العزيز: "قصيدة بانة سعاد" لا تعدُّ من القصائد المدحية، ولم يكن المدح غرضها الرئيسي، ولم يقل الشاعر طمعا في عطاء، أو رغبة في نوال، كما جرت العادة في قصائد المديح في الأدب العربي، فهي قصيدة اعتذار بالدرجة الأولى، فهي- في نظر البعض- "إلى الاستطعاف والاستبراء أقرب منها إلى الثناء والإطراء، وبعبارة أخرى هي دفاع عن النفس أكثر منها مديحا"^{٤٩}.

الابتداء بالمقدمة الغزلية:

اختلف الباحثون في أن قصيدة "بانة سعاد" ابتدأت بالمقدمة الغزلية أم لا؟ فقال بعض الباحثين: ابتدأ كعب بن زهير قصيدته "بانة سعاد" بالمقدمة الغزلية على أنه تقليد جاهلي، اتبع فيه خطأ الجاهلين، ويرى الدكتور عبد العزيز المانع "أنها صيغة فنية لا ينبغي أن نأخذ مادتها دائما على أنها صورة لصاحبها"^{٥٠}. كما علّنها في بحث آخر له بأن سماعها من قبل الرسول -صلى الله عليه وسلم- كان نوعا من السماحة الدينية، وتاليا لقلوب الناس، واستمالة الشعراء إلى جانب الدعوة الجديدة^{٥١}. وقال البعض الغزل في مقدمة قصيدة كعب "بانة سعاد" ليس بغزل حقيقي، كما أن سعاد ليست بامرأة

كعب بن زهير وخصائص شعره: دراسة وتقييم
(কা'ব বিন যুহাইর ও তাঁর কবিতার বৈশিষ্ট্য: পর্যালোচনা ও মূল্যায়ন)

حقيقية؛ لأن المؤلف في الغزل هو أن يذكر الشاعر معشوقته بأحسن صفاتها الخلقية والخلقية على حد سواء، كما أنه يتودد ويتذلل، ويخطب وُدّها، ويطلب وصالها، ويحاول كسب رضاها إن هي أبدت صدوداً، وإذا تعرض الشاعر الصدود منها، فإنه يأمل ويتمنى أن تعود إلى عهدها السابق؛ ولأنه لا يعقل بأن يبدأ الشاعر بمقدمة غزلية وهو مهودور الدم، وأن المقدمة الغزلية التي يظهر الشاعر فيها بمظاهر العشق، لا يتفق مع حالته النفسية القلقة.

وربط بعض الباحثين بمقدمة القصيدة الغزلية رابطة عميقة بينها وبين نفسية كعب بن زهير، وقال: إن المطلع الغزلي يتضمن معنيين اثنين، أحدهما: اللهفة الشديدة على سُعاد ذات الجمال البارح، والثاني: السخط الشديد على خلق سُعاد الحسني المتلون، وهذان المعنيان يقابلان تماماً نفسية كعب، فالوجه الأول في صفات سُعاد الحسنيّة يقابل لهفته في الحصول على عفو الرسول -صلى الله عليه وسلم-، أما سُعاد في وجهها السيئ المتلون فيرمز إلى تخلي أصدقائه عنه^{٥٣}.

استعمال الألفاظ البدوية الصعبة:

قد ظهر في شعر كعب بن زهير تأثره ببيئته البدوية القاسية بشكل واضح، فهو كان يكثر في شعره من الألفاظ البدوية الصعبة التي تحتاج إلى شرح وتوضيح، وهو بذلك سار على خطى سابقيه، أمثال امرؤ القيس، وأوس بن حجر، وزهير بن أبي سلمى، ومن الأمثلة على ذلك قوله:^{٥٤}

أَمَسَتْ سُعَادٌ بِأَرْضٍ لَا يُبَلِّغُهَا إِلَّا الْعِتَاقُ النَّجِيبَاتُ الْمَرَاسِيلُ
وَلَنْ يُبَلِّغَهَا إِلَّا عُدَا فِرَّةٌ فِيهَا عَلَى الْأَيْنِ إِرْقَالٌ وَتَبْغِيلُ

إن الألفاظ البدوية التي جاءت في هذه الأبيات هي (المراسيل، عُدَا فِرَّةٌ، تَبْغِيلُ)، وهي ألفاظ بدوية جزلة، لكن بعد إسلام كعب حلّت محلّها ألفاظ القرآن الكريم، والمعاني الإسلامية.

أثر القرآن الكريم في شعر كعب بن زهير:

تأثر شعر كعب بن زهير بعد إسلامه بالقرآن الكريم والحديث النبوي لفظياً ومعنوياً، وقد ظهر هذا التأثير في قصيدته "بانث سعاد"، حيث اعترف أنّ الذي أنزل علي الرسول -صلى الله عليه وسلم- القرآن هو الله، وأنّه حق، وفي هذا دلالة واضحة على أنّ الشاعر لا بد قد اطلع على القرآن الكريم وتعرّف على الدين الإسلامي الجديد قبل أن يلقي هذه القصيدة بين يدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، والأبيات الآتية توضح ذلك:^{٥٥}

أُنْبِتُ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُورٌ
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلةً القرآن فيها مواعيطٌ وتفصيلٌ

يظهر في هذه الأبيات تأثر كعب بالآية الكريمة: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^{٥٦}

الفصاحة والبلاغية في شعر كعب بن زهير:

إذا أمعنا النظر إلى أشعار كعب بن زهير وجدناها ما تجمع إلى ملاحظة اللفظ وفصاحتها، عمق المعنى وطرافتها، وأشعاره مملوءة بالفصاحة والبلاغة من التشبيه والاستعارة والكناية والاستراد والطباق والمقابلة والمبالغة وغير ذلك مما يحتاج إلى البيان، فنحن نشير إلى بعضها، وهي فيما يلي:

- أما التشبيه^{٥٧} فنجدّه في عدة مواضع من قصيدة بانث سعاد. فقد شبه العوارض بالراح المعلول، ووعد سعاد بالماء الغرابيل، فقال:

تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت كأنه منهل بالراح معلول^{٥٨}.

ولا تمسل بالوعد الذي زعمت إلا كما تمسك الماء الغرابيل^{٥٩}.

- أما الطباق^{٦٠} فقد أورده كعب في كثير من مواضع قصيدته، فقال:

هيفاء مقبلة، عجزاء مدبرة لا يشتكى قصر منها، ولا طول^{٦١}.

ضخم مقلدها عبل مقيدها في خلقها عن بناب الفحل تفضيل^{٦٢}

كعب بن زهير وخصائص شعره: دراسة وتقييم
(কা'ব বিন যুহাইর ও তাঁর কবিতার বৈশিষ্ট্য: পর্যালোচনা ও মূল্যায়ন)

في البيت الأول طباق بين مقبلة ومدبرة، وقصر وطول. وفي الثاني طباق بين ضخم وعبل.

• وأما البالغة^{٦٣} فقد أتى بها عند ما بالغ في مدح الممدوح، فقال:

فيغدو فيلحم ضرغامين عيشهما لحم من القوم معفور خراديل^{٦٤}

يمشي القراد عليها ثم يزلقه منها لبان واقراب زهاليل^{٦٥}

فبالغ في عيش الضرغامين بأنهما لا يأكلان إلا لحم القوم. وفي البيت الثاني بالغ في لبان الناقة بأن القراد لا يستطيع أن يمشي عليها ويذل عنها.

• أما ارسال المثل هو أن يوتى بكلام صالح يتمثل به في مواطن كثيرة، مثلا

فقلت خلوا سبيلي لا أبا لكم فكل ما قدر الرحمن مفعول^{٦٦}

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيدها إلا الأباطيل^{٦٧}

ففي هذين البيتين "فكل ما قدر الرحمن مفعول" و "كانت مواعيد عرقوب لها مثلا" يتمثل بهما في مواضع شتى.

• تأكيد المدح بما يشبه الذم^{٦٨}، فقال:

لا يقع الطعن إلا في نحورهم ومالهم من حياض الموت تهليل^{٦٩}

الخاتمة:

ففي الختام نقول بأن أشعار كعب بن زهير لها أهمية كبرى في الأدب العربي والتاريخ الإسلامي كليهما، وهذه الأشعار أسمى القوة في تأثير الأدباء والفضلاء، أظهر بها مهارته الشعرية وفطنته العميقة في رحاب الأدب العربي. وله قوة جاذبية التي جذب بها الرسول -صلى الله عليه وسلم- حتى أعطاه بردهته المباركة جائزة على قصيدته "بانت سعاد". نظرا إلى هذه الأهمية القصوى تدرس قصائده في أكثر مدارس

بنغلاديش والبلاد الإسلامية الأخرى وجامعاتها، والباحثون يعكفون عليها عبر القرون ليستخرجوا منها اللآلي المكنونة والكنوز الزخيرة. وهي لاتزال تدرس جيلا بجيل في المعاهد الدينية إلى يوم القيامة.

المصادر والمراجع

- ^١ كارل بروكلمان، *تاريخ الأدب العربي*، ترجمة: عبد الحلیم النجار، ط ٥، (مصر: دار المعارف، ١٩٨٣م)، ج ١، ص ١٥٦؛ ريجيس بلاشير، *تاريخ الأدب العربي*، ترجمة: إبراهيم الكيلاني، ط ٢ (دمشق: دار الفكر، ١٩٨٤م)، ص ٣٠١؛ كارلو نالينو، *تاريخ الآداب العربية*، ط ٢ (مصر: دار المعارف، ١٩٧٠م)، ص ١٠٤.
- ^٢ ابن حجر العسقلاني، *الإصابة في معرفة الصحابة*، تحقيق: علي البجاوي (القاهرة: دار نهضة مصر، ب، ت)، ج ٥، ص ٥٩٢؛ ابن عبد البر النمري القرطبي، *الاستيعاب في معرفة أسماء الأصحاب*، المصدر السابق، ص ١٣١٣؛ ابن الأثير الجوزي، أبو الحسن علي بن أبي المكرم محمد، *أسد الغابة في معرفة أسماء الصحابة*، تحقيق: محمد إبراهيم ألبنا وآخرين (القاهرة: دار الشعب للطباعة والنشر، ب، ت)، ج ٤، ص ٤٧٥.
- ^٣ وزهير تحقير أزهر على الترخيم ويجوز أن يكون تحقير زهر وذهب الفراء إلى أنه لا يحقر الاسم تحقير الترخيم إلا أن يكون علماً كزهير وبجير ونحوهما. أنظر: أبو الفتح عثمان بن جني، *المبہج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة*، ط ١ (دمشق: دار الهجرة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٨م)، ص ١٦٨.
- ^٤ بضم السين وسكون اللام (سُلْمَى)، أنظر: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، *جمهرة اللغة*، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط ٢ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٨م)، ج ٢، ص ٤٥٩؛ أبو عمرو إسحاق بن مزار الشيباني، *الجبیم*، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٩٧٤م)، ص ٢٠٠.
- ^٥ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق، *معرفة الصحابة*، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، ط ١ (الرياض: دار الوطن للنشر، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، ج ١، ص ٤٢٥.

كعب بن زهير وخصائص شعره: دراسة وتقييم
(কা'ব বিন যুহাইর ও তাঁর কবিতার বৈশিষ্ট্য: পর্যালোচনা ও মূল্যায়ন)

- ^٦ أبو عبد الله محمد بن سَلام، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، (جدة: دار المدني، ب، ت)، ج ١، ص ١٠٦؛ أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق، معجم الصحابة، تحقيق: صلاح بن سالم المصراطي، ط ١ (المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤١٨هـ)، ج ٢، ص ٣٨٠.
- ^٧ واسم أبنه عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى. وسي بذلك لأنه كان يجلس إلى امرأة فيعشقها، فجاء إخوتها فضربوه، فعرف بالمضرب، كما لقب أبوه بأبي المضرب. أنظر: أبو المجد اسعد بن إبراهيم الشيباني، المذاكرة في القباب الشعراء، المكتبة الشاملة، ج ١، ص ٧؛ وقال صلاح الدين إنه شَبَّبَ بِأَمْرَأَةٍ فَضْرِبُهُ أَخُوهَا بِالسَّيْفِ ضْرِبَاتٍ كَثِيرَةً فَلَمْ يَمِتْ. أنظر: صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى (بيروت: دار إحياء التراث، ٢٠٠٠م)، ج ٢٤، ص ٢٥٩.
- ^٨ ديوان كعب بن زهير، تحقيق: على فور (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م)، ص ٥.
- ^٩ نفس المصدر، ص ٥.
- ^{١٠} حسن حسين، ثلاثية البردة بردة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ط ١ (الدوحة: دار الكتب القطرية، ١٤٠٠هـ)، ص ١٩.
- ^{١١} حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي (بيروت: دار الجيل، ب، ت)، ص ٤٠٢.
- ^{١٢} أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، معجم الشعراء، ط ٢ (لبنان: دار الكتب العلمية، ١٩٨٢م)، ص ٣١٩.
- ^{١٣} جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، الجرا الأول، ص ١٨٣.
- ^{١٤} الجامع في تاريخ الأدب العربي، المصدر السابق، ص ٤٠٠.
- ^{١٥} بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٩م)، ص ٢٦٧.
- ^{١٦} أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، المصدر نفسه، ص ٢٦٧.
- ^{١٧} دكتور شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ط ٢ (القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٢م)، ج ١، ص ٨٣-٨٤.
- ^{١٨} في الأدب الجاهلي، ص ٢٩٠.
- ^{١٩} د. طه حسين، في الشعر الجاهلي، ص ٣٠٦-٣٠٩.

- ٢٠ ديوان زهير بن أبي سلمى، ص ٨١.
- ٢١ ثلاثية البردة بردة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ص ٢٠.
- ٢٢ الجامع في تاريخ الأدب العربي، المصدر السابق، ص ٤٠٢.
- ٢٣ كامل سلمان الجابوري، معجم الشعراء، ج ٤ (بيروت: دار الكتب الإسلامية، ٢٠٠٣م)، ص ٢٢٨.
- ٢٤ أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، *أسد الغابة في معرفة الصحابة*، ط ١ (الناشر: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م)، ج ٤، ص ٤٤٩.
- ٢٥ *الكامل في التاريخ*، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٥؛ البغدادي، *خزانة الأدب*، ج ٩، ص ١.
- ٢٦ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق، *معرفة الصحابة*، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، ط ١ (الرياض: دار الوطن للنشر، ١٩٩٨م)، ج ١، ص ٤٢٥.
- ٢٧ *معجم الصحابة*، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٨١.
- ٢٨ *أسد الغابة في معرفة الصحابة*، المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٤٩.
- ٢٩ *أدباء العرب*، ص ٢٦٨.
- ٣٠ نفس المصدر، ص ٢٦٨.
- ٣١ ديوان كعب بن زهير، ص ٥.
- ٣٢ أبو هدايا حامد، "الصورة الشعرية في شعر كعب بن زهير"، مجلة كلية الآداب (٢٠١٠)، العدد ٢٢، صفحة ٢١-١٤، ٦، ٧، ٨، ٤. بتصرف.
- ٣٣ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، *الاستيعاب في معرفة الأصحاب*، ط ١، (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢)، ج ٣، ص ١٣١٥.
- ٣٤ *معجم الشعراء*، ص ٣٤٢.
- ٣٥ *تاريخ الادب العربي*، المصدر السابق، ص ١٨٣.
- ٣٦ *الجامع في تاريخ الأدب العربي*، المصدر السابق، ص ٤٠٢.
- ٣٧ محمد على صباح، كعب بن زهير حياته وشعره (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م)، ص ٤٥.

كعب بن زهير وخصائص شعره: دراسة وتقويم
(কা'ব বিন যুহাইর ও তাঁর কবিতার বৈশিষ্ট্য: পর্যালোচনা ও মূল্যায়ন)

- ٣٨ ديوان كعب بن زهير، ص ١٤.
- ٣٩ المصدر نفسه، ص ٦٧.
- ٤٠ سورة البقرة: ٢٦٩.
- ٤١ ديوان كعب بن زهير، ص ٣٧-٣٨.
- ٤٢ المصدر نفسه، ص ٤٢.
- ٤٣ المصدر نفسه، ص ٦٧.
- ٤٤ المصدر نفسه، ص ٦٧.
- ٤٥ المصدر نفسه، ص ٢٥٨.
- ٤٦ ديوان كعب بن زهير (المكتبة الشاملة)، ص ٥٧.
- ٤٧ ، أبو الفرج علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، ط ٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٧هـ)، ج ٣، ص ٢٠٢.
- ٤٨ نفس المصدر، ص ٥.
- ٤٩ عبد العزيز عبده قلقيلة، خط سير الأدب العربي، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٠م)، ص ١٠٥.
- ٥٠ حسين عطوان، مقدمة القصيدة العربية في صدر الإسلام، ط ١ (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٧م)، ص ٤٨.
- ٥١ عبد العزيز بن ناصر المانع، قصيدتا الأعشى الإسلاميتين، هل نرفض نسبتها إليه (مجلة بحوث كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، مكة المكرمة، س ٢، ٢٤، ١٤٠٥/١٤٠٤هـ)، ص ٩٤.
- ٥٢ عبد العزيز المانع، قراءة في قصيدة بانث سعاد، (مجلة المجمع العلمي العراقي، ج ٢، ٣، رجب ١٤٠٢هـ، نيسان ١٩٨٢، ص ٣٦٦-٣٦٧).
- ٥٣ عبد الحلیم حفي، مطلع القصيدة العربية ودلالاته النفسية (القاهرة: الهيئة المصرية للطباعة والنشر، ١٩٥١م، ص ٧٧).
- ٥٤ ديوان كعب بن زهير (المكتبة الشاملة)، ص ٤٧.

- ^{٥٥} المصدر نفسه، ص ٤٩.
- ^{٥٦} سورة الأعراف: ١٩٩.
- ^{٥٧} هو مشاركة أمر لأمر آخر في معنى بأدوات معلومة، مالم يكن على وجه الاستعارة الحقيقية، ولا الاستعارة بالكناية، ولا التجريد. أنظر: أحمد الهاشمي، تحقيق: لجنة من الجامعين، ط ٢ (بيروت: مؤسسة المعارف، ١٩٩٩م)، ص ٢١٩.
- ^{٥٨} الدكتور مجيب الرحمن، كعب بن زهير وشعره (داكا: البركة لائبريري، ٢٠٠٨م)، ص ١١١.
- ^{٥٩} نفس المصدر، ص ١١٣.
- ^{٦٠} هو الجمع بين الشئ وضده في الكلام، أي بين معنيين متقابلين في الجملة، وهما قد يكونان اسمين، أو حرفين، أو مختلفين. أنظر: أحمد الهاشمي، المصدر السابق، ص ٣٠٣.
- ^{٦١} الدكتور مجيب الرحمن، كعب بن زهير وشعره، ص ١١٠.
- ^{٦٢} نفس المصدر، ص ١١٥.
- ^{٦٣} هو أن يدعي المتكلم لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حدا مستبعدا أو مستحيلا. أنظر: أحمد الهاشمي، المصدر السابق، ص ٣١٢.
- ^{٦٤} الدكتور مجيب الرحمن، كعب بن زهير وشعره، ص ١٢٢.
- ^{٦٥} نفس المصدر، ص ١١٦.
- ^{٦٦} نفس المصدر، ص ١٢٠.
- ^{٦٧} نفس المصدر، ص ١١٣.
- ^{٦٨} هو أن يثنى من صفة ذم منفية صفة مدح على تقدير دخولها فيها. أنظر: محمد مطاهر على، دروس البلاغة (داكا: مفطى لائبريري، ب. ت)، ص ١٣١.
- ^{٦٩} الدكتور مجيب الرحمن، كعب بن زهير وشعره، ص ١٢٤.